ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Education, its institutions and its impact on the student movement before the French occupation of Tunisia until 1881 AD

Prof. Muayyad Mahmoud Hamad Al-Mashhadani

Elaf Hamid Makhlaf

Tikrit University/ College of Education for Girls

* Corresponding author: E-mail : Mo3edmahmood@tu.edu.iq

Keywords:
In
fi
C
M
F

ARTICLE INFO

Article history:
Received 4 Jan. 2022
Accepted 17 Feb 2022
Available online 10 Aug 2022
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

ABSTRACT

Education in Tunisia before the occupation was relatively prosperous and spread in various regions of the Tunisian country. It was primary education in komatik, Mosques and corners. Secondary and higher education was one of the comprehensiveness of the Zitouna Mosque and a number of its branches, and this education is considered traditional.

For modern education, it spread in Tunisia following the reforms that took place in it at the hands of reformers, most notably Khair al-Din Pasha, with the aim of teaching modern sciences and forming a political and administrative elite capable of running the country. Crystallizing the national awareness of a number of Tunisian students and graduating most of the Tunisian leaders and important personalities.

As well as the spread of special education for Europeans through European schools that were working to spread European culture, especially French ones.

The multiplicity of scientific institutions in Tunisia before its occupation was evidence of Tunisians' interest in education, whether it was traditional, modern, or foreign education.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI:http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.8.1.2022.08

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

التعليم ومؤسساته وأثره على الحركة الطلابية قبل الاحتلال الفرنسي لتونس حتى عام ١٨٨١م

أ.د مؤيد محمود حمد المشهداني

ايلاف حميد مخلف/ جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات

الخلاصة:

كان التعليم في تونس قبل الاحتلال مزدهراً نسبياً ومنتشراً في مختلف مناطق البلاد التونسية، وهو تعليم ابتدائي في الكتاتيب والجوامع والزوايا، أما التعليم الثانوي والعالي فكان من شموليات جامع الزيتونة وعدد من فروعه، ويعدَّ هذا التعليم تقليدياً. أما التعليم الحديث، فقد انتشر في تونس على أثر الإصلاحات التي حدثت فيها على يد المصلحين وأبرزهم خير الدين باشا، بغية تدريس العلوم العصرية وتكوين نخبة سياسية وإدارية قادرة على تسيير البلاد، وأهم تلك الإصلاحات إنشاء العديد من المدارس وأهمها الصادقية التي

كان لها دور كبير في بلورة الوعي الوطني لدى عدد من الطلاب التونسيين وتخريج معظم القيادات والشخصيات التونسية المهمة.

فضلاً عن انتشار التعليم الخاص بالأوربيين عن طريق المدارس الأوربية التي كانت تعمل على نشر الثقافة الأوربية ولاسيما الفرنسية منها.

كان تعدد المؤسسات العلمية في تونس قبل احتلالها دليلاً على اهتمام التونسيين بالتعليم سواء أكان ذلك تعليماً تقليدياً أو عصرياً أو أجنبياً.

المقدمة

تميز التعليم القائم في تونس قبل الاحتلال الفرنسي بطابعه التقليدي وارتكازه بالدرجة الأولى على جامع الزيتونة الذي يعود تأسيسه إلى قرون عديدة، وأشرف على جميع مؤسسات التعليم التقليدية، إلاَّ أنَّ تلك المؤسسة قد شهدت في القرن التاسع عشر محاولات تحديث وتعمير كان أبرزها إصلاحات خير الدين.

لم يكن التعليم العصري بمفهومه الغربي غائباً عن الساحة الثقافية التونسية، إذ تم تأسيس المدرسة الصادقية بغية تدريس العلوم العصرية والأجنبية وتكوين نخبة سياسية وإدارية قادرة على تسيير البلاد وفق الطرق والمناهج الأوربية، وكانت هناك عدد من المدارس الأوربية الخاصة بالمدن التونسية.

قسم البحث على مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة، تناول المحور الأول تقديم التعليم التقليدي وأنواعه ومراحله، أما المحور الثاني، فقد سلط الضوء على مؤسسات التعليم التقليدي، في حين بحث المحور الثالث عن التعليم العصري، وركز المحور الرابع على التعليم الخاص بالأوربيين .

مدخل تاريخي

كان التعليم في تونس[1] مزدهراً نسبياً بمستوياته المختلفة (ابتدائي وثانوي وعالي) وله مؤسساته وعلماؤه وانجازاته...، إذ كان التعليم منتشراً في مختلف مناطق البلاد ولاسيما المناطق الحضرية مثل: سوسة، وصفاقس، وجربة، وقفصة، والقيروان...[2]، إذ كانت الكتاتيب والمساجد لها دور مهم في التعليم العام للأمة التونسية، وساهمت في تنشئة جيل متعلم، لكن ذلك النشاط العلمي الذي عرفته تونس كان مع غياب سلطة حريصة على وضع سياسة تعليمية عامة لتطوير التعليم العام في تونس، إذ أنحصر الجهد الحكومي في إدارة عدد من المرافق التعليمية مع اهمال واضح إلى الاهتمام بالتعليم العام.[3]

أولاً: أنواع التعليم التقليدي ومراحله:

عرفت تونس قبل الاحتلال الفرنسي وجود تعليم عربي إسلامي يقوم أساساً على الدراسة الدينية، اللغوية والأدبية وعدد من الدروس العلمية، في حين التعليم الديني كان يجري في عدد من المساجد على

أيدي الفقهاء من علماء الشريعة واللغة العربية، ويعرف التعليم الديني بـ(التعليم التقليدي)[4]، ويعرف التعليم التقليدي بأنه نظام تعليمي تربوي يقوم على تدريس المواد الدينية الأساسية كالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة والفقه وأصوله وأعتمد التعليم التقليدي في أساليبه التعليمية أساساً على التلقين، والحفظ، والذاكرة، والسماع....[5]

كان ذلك التعليم واسع الانتشار في كل المدن التونسية، إذ كان التعليم التقليدي مقسماً على مراحل، لكنه ليس بالمفهوم الحديث كما هو عليه الحال في عصرنا، وانما كانت مراحله متداخلة مع بعضها وبصفة عامة يمكن التمييز بين مرحلتين: مرحلة الابتدائية ومرحلة التعليم العالي، أما المرحلة الثانوية فكانت متداخلة مع مرحلة التعليم العالي حتى يصعب أحياناً التمييز بينهما.

أ- المرحلة الابتدائية

كان الأطفال في تلك المرحلة يزاولون تعليمهم على مستوى الكتاتيب القرآنية او الزوايا[6]. إذ إنَّ تلك الزوايا قامت بدور مهم ولاسيما مع غياب التعليم الرسمي الذي تشرف عليه الدولة ومؤسساتها التربوية.

الكتاتيب

الكتاتيب جمع كتاب وهو عبارة عن حجرة او حجرتين مجاورة للمسجد وفي حالات أخرى تبتعد عنه فتكون في غرفة داخل منزل، وقد يبنى الكتاب خصيصاً لتعليم القرآن , إذ تبنى تلك دور (الكتاتيب) من قبل متطوعين احتساباً لله تعالى وطلباً للأجر، وقد يبنيه المعلم أو يأخذه من تلك الدور أو الكتاتيب للتعليم فيها مقابل أجر معين يتقاضاه من أولياء التلاميذ.[7]

كانت الكتاتيب منتشرة في كامل أنحاء البلاد التونسية، فمثلاً بلغ عددها، في مدينة القيروان وحدها ٦٥ كتاباً يتردد عليها الأطفال للتعلم، كان يشرف على تعليم الأطفال معلمون لم يكن لهم راتب خاص، لكنهم كانوا يتلقون مبالغ من أولياء امر التلاميذ، مع هدايا لهم في المناسبات تشجيعاً لهم ولدورهم التربوي في تعليم أبنائهم.[8]

كان الكتاب هو أساس التعليم الابتدائي، وهو مخصص عادة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال، وأعدادهم للالتحاق بالمساجد الكبرى لأنهاء دراستهم الثانوية.[9]

كانت كتاتيب القرآن الكريم في العصور الإسلامية بمنزلة المدارس الابتدائية في عصرنا الحاضر، وكان لها الأثر في الحفاظ على اللغة العربية وانتشارها بين جميع الأعراق المسلمة، إذ كان التلاميذ يتعلمون فيها القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، وكان الأطفال المسلمون يتلقون في هذه الكتاتيب تعاليم الدين الأساسية فيتعلمون على أركان الإسلام ومعنى الإيمان، وكذلك يتعلمون كيفية الوضوء والصلاة، فضلاً عن ان هؤلاء التلاميذ كانوا يستمعون إلى السيرة العطرة للرسول الكريم (ﷺ) وحياة أصحابه الكرام.

وفي العصر الحديث وبعد سقوط الخلافة العثمانية وقيام الدول العربية ومنها تونس حلت المدارس الحديثة العامة بدل الكتاتيب، ولكنها أخذت جانباً علمانياً بحتاً على الأغلب، ووصل الأمر ببعض

البرامج التعليمية في الدول العربية والإسلامية إلى اهمال اللغة العربية مقابل الاهتمام المبالغ باللغات الأجنبية مما هدّد اللغة العربية بالضياع.

والكتاتيب مازالت قائمة في معظم البلاد الإسلامية وخاصة في أفريقيا وشرق أسيا، ويلاحظ أيضاً انتشار حفظ القرآن في الكتاتيب القرآنية بتقاليدها القديمة في بلاد المغرب العربي بشكل كبير بدايةً من ليبيا ومروراً بتونس والجزائر والمغرب وصحاري موريتانيا وهؤلاء ينالون المراكز الأولى في نسبة حفظ القرآن الكريم.[10]

الجدول رقم (١)

جدول إحصائي يوضح تواجد الكتاتيب بمختلف مناطق تونس قبل الاحتلال الفرنسي

المنطقة	عدد الكتاتيب	عدد التلاميذ
تونس	22	639
القيروان	65	1635
سوسة	45	839
صفاقس	23	650
جربة	39	1059
قفصة	23	270
توزور	26	564
نفطة	37	366
نفزاوة	11	171
الوطن القبلي	42	1468
المجموع	333	7661

وكانت الكتاتيب في تونس جميعها في حالة جيدة من حيث مستوى التعليم فيها، لكن البعض منها كان يعاني من الإهمال، وهذا يرجع سببه إلى سوء تصرف وكيل الأوقاف الذي يزور الحسابات ليستحوذ على مداخيل الأوقاف العمومية، وسميت فيما بعد بجمعية الأوقاف[11]، وذلك لتجنيب الاختلاس[12]، إذ صدر قرار عام ١٨٧٦م يتعلق بوضع طرق دقيقة في اختيار معلمي الكتاتيب، وصاروا خاضعين للحكومة، ولتنفيذ هذا القانون تشكل في كل مدينة لجنة تتألف من عضوين: أحدهما من المجلس الشرعي والأخر من أمين المعلمين بالمنطقة، وأوكلت اليهما مهمتان هما: ضبط قائمة بالمعلمين والقيام بزيارة لتفقد منظمة الكتاتيب لمتابعة شؤون المنضوين إلى الكتاتيب [13] وتعد تلك المحاولات التي بدأت بها الدولة هي محاولات أولية لغرض تنظيم عمل دور الكتاتيب والاشراف عليها عن طريق مؤسسات الدولة وخاصةً في دائرة الأوقاف.

إن الكتاتيب القرآنية شعاع ثقافي مهم في المجتمع المسلم، فهي تُسهم في الحفاظ على اللغة العربية ونشر العلم وتجعل الناس متمسكون بالتقاليد الإسلامية، فإذا عّمت وانتشرت هذه الكتاتيب في مجتمعنا بتلك المعايير التي اشرنا اليها فيكثر الخير والنفع والفضيلة ببركة القرآن الكريم وينشأ جيل قرآني يحفظ

عرى الإسلام ويعمل على إيقاف سياسة التغريب التي عملت عليها الدوائر الاستعمارية التي أوغلت في محاربة المجتمعات الإسلامية وخاصة في بلاد المغرب العربي ومنها تونس.

ب- التعليم الثانوي والعالي

زخرت البلاد التونسية بالعديد من المساجد والجوامع، إذ يتلقى الطالب[14]، في هذه المرحلة علوماً متنوعة كانت تنقسم بصفة عامة على قسمين: علوم نقلية وكانت تشمل التفسير، والحديث، وأصول العلوم، والفقه وأصول العلوم المتصلة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، أما القسم الثاني فكان يشمل العلوم العقلية وكانت مناهجها تتضمن القواعد، والبلاغة، والمنطق، وعلم التوحيد، والفلسفة، والحساب، وعلم الفلك، والتاريخ.[15]

أما عن طريقة التدريس في هذه المرحلة فكانت تقوم على جلوس الطلبة حول المعلم، وبالنسبة للبرامج التعليمية فلم يكن هناك مفردات أو منهج دراسي محدد يفرض على الطلبة لدراسته كل عام بل كان الأمر مرتبطاً باجتهاد المدرس ونشاطه، في مقابل هذا المجهود لم يكن للمدرسين أجور محددة بل كان كما هو الشأن في التعليم الابتدائي، يتلقون مجموعة من الهدايا في المناسبات.[16]

ثانياً: مؤسسات التعليم التقليدي (جامع الزيتونة انموذجا)

أ- بداية نشأة جامع الزيتونة

يعد جامع الزيتونة ثاني أقدم جامع في تونس بعد جامع عقبة بن نافع التي بنيت في المغرب العربي، فهو يضاهي جامع القرويين في فاس والازهر[17] في مصر، إذ كان له أهمية كبيرة لأبناء شمال أفريقية، إذ تجاوز نشاطه التعبدي لينفتح على محيطه الثقافي، والاجتماعي، والسياسي لا في تونس فحسب بل في كل المغرب العربي .[18]

وان جامع الزيتونة أول جامع في العالم الإسلامي وفي رحابه تأسست أول مدرسة فقهية بأفريقية وكان من ابرز رموزها علي بن زياد بتونس واسد بن الفرات والإمام سحنون بالقيروان اختلفت الروايات حول من قام ببناء الجامع وتاريخ بنائه، فقد نسب الكثير من المؤرخين ببناء الجامع إلى عبدالله بن الحبحاب[19]، حينما قدم إلى افريقيا عام ١١٦هـ، في حين ينسب آخرون البناء إلى حسان بن النعمان[20] عام ٨٤هـ لكن الرأي الأرجح الذي ينسب البناء إلى حسان بن النعمان، لأن فتح مدينة تونس كان في عام ٧٩هـ، اما عن دور ابن الحجاب في بناء الجامع قد يتمثل في إتمام عمارة الجامع وتوسيعه، لأنه لم يقدم إلى تونس إلاَّ في عام ١١٠هـ.[21]

ب- اصل التسمية

اختلفت الروايات أيضاً فيما يخص تسمية الجامع ومنهم من يشير إلى أن الجامع وضع في موضع فيه أشجار الزيتون قطعت كلها ولم يبق إلا زيتونة واحدة وسط مساحة الجامع فسمي بها [22] لكن الرأي الأرجح أن المسلمين اطلقوا على ﴿الجامع تسمية الزيتونة تميناً بالآية القرآنية الكريمة﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضَۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٣٥﴾ .[23]

ونعتقد أن الإشارة في هذهِ الآية الكريمة اقرب الأسباب إلى تسمية الجامع بـ(جامع الزيتونة).

ج- الوضع التعليمي بالجامع

علوم ومناهج وبرامج جامع الزيتونة

لا يختلف التعليم في الزيتونة عن باقي المؤسسات التعليمية بالعالم الإسلامي، فهو يقوم أساساً على القرآن والسنة، وان المهمة التي أنيطت به في تعليم أبناء المسلمين والمناهج التي كانت بالجامع هي العلوم العقلية والنقلية؛ فالعلوم النقلية تتمثل في الشريعة وعلومها المختلفة، اما العقلية فتشمل العلوم الوضعية من أدب، وفلسفة، وتاريخ، وجغرافيا، وحساب، وفلك وغيرها من العلوم.[24]

د- المناهج وطرق التدريس

ترتكز المناهج وطرق التدريس التي يسير عليها التعليم بجامع الزيتونة بالأساس على طريقة الاختيار بحيث يختار المدرس ما يشاء من المواد وعدد الدروس ومقدار الدروس بحسب ما يحتاجونه، ولقد ترتب على هذه الطريقة مواد وتفاوت تلامذة المرتبة الواحدة فيما يسعون إلى تحصيله من دروس[25]، أما عن طريقة القاء الدروس بالجامع فكانت تجري بطريقة جلوس المدرس مستنداً على أسطوانة من ساريا الجامع العديدة، ويحيط به الطلبة في شكل حلقة مستديرة أو هلال، ويمكن ان تتعدد الحلقات ، وغالباً ما يكون جلوس الطلبة في هذه على شكل أهلة ليتمكنوا من النظر للمدرس حسب عدد التلاميذ، فيقرأ المدرس او يكلف أحد التلاميذ بالقراءة والمعلم يستمع ثم يعلق ويشرح، والطبة يكتبون ما يرون في انفسهم بحاجة إلى تدوينه.[26]

" يتميز جامع الزيتونة بطريقة تدريس موحدة تمثلت في الطريقة الألقائية، أي يلقي المدرس درسه على التلاميذ كألقائه محاضرة من المحاضرات بلغة عربية سليمة من الأخطاء، ولا يستعين أثناء إلقاء درسه بكتاب أو مذكرة بالذي سيشرحه، فهو مطلع على ما يطرحه من معلومات وأفكار، فهو حافظ لها، وقد حل مسائلة ووعاها مسبقاً، وفي اخر حصة الدرس يكلف التلميذ بقراءة الفقرة التي هي موضوع الدرس، ويسأل المدرس لمن لم يفهم الدرس حتى يوضحه أكثر.[27]"

ذ- مراحل التعليم

١- المرحلة الابتدائية

هي أولى مراحل التعليم، إذ يتعلم التلاميذ القرآن الكريم، أصول الفقه، الرسم والمنطق[28]، والعلوم العصرية مثل التوحيد، والنحو، والصرف، والأدب، والمعاني والبيان، ومدة الدراسة فيها أربعة أعوام.[29]

٢- المرحلة الثانوية

تتميز المرحلة الثانوية بتحصيل الطالب على تعليمه عكس التعليم الابتدائي، إذ يدرس في المدارس التابعة لجامع الزيتونة ويتلقى اثنائها الطالب جملة من العلوم وهي الحديث، والقراءة، وأصول الفقه، والفرائض، والتصوف، والشريعة، المعاني، والبيان، واللغة، والتاريخ، والجغرافية، والحساب، والصرف، والنحو[30]، وبعد تلقي الطالب لتلك العلوم المقررة أثناء هذه المرحلة؛ أي أثناء أعوام الدراسة الثلاثة يتأهل لاجتياز امتحان ختامي يشمل ما تعلمه في المرحلة الثانوية، ويسمى الامتحان الذي يجتازه الطالب "امتحان شهادة تطوع" وفي حال تمكن الطالب من اجتياز هذا الاختبار بنجاح يكون قد حصل على شهادة التطوع، وبهذا يكون الطالب جدير بمواصلة تعليمه في الطور العلمي الأعلى.[31]

٣- المرحلة العليا

هي أعلى مراتب التعليم الزيتوني، اذ يكون فيها التعليم عاماً، يعكف الطالب فيها على دراسة عدد من العلوم وهي علم القراءات، والتفسير، والنحو، والبلاغة، اللغة، والأدب ودروس في التاريخ والجغرافية[32]. يمكن عد هذه المرحلة الدراسية في جامع الزيتونة بما يوازيها اليوم من مرحلة دراسة البكالوريوس في الجامعات العربية, إذ يؤخذ الطالب تعليم أوسع من المرحل السابقة التي درسها في المرحلة الابتدائية والثانوية .

هـ- مكتبات الجامع

١- المكتبة الأحمدية

أسسها أحمد باي الأول (١٨٣٧-١٨٥٥م)[33] عام ١٨٤٠م وقام بتجهيزها بالعديد من الكتب والمجلدات، إذ جمعت المكتبة نفائس المغرب والمشرق، واشتملت المكتبة على كتب الوزير حسين خوجة، فضلاً عن كتب الشيخ إبراهيم التي تعد انفس الكتب التي وقفت بالمكتبة والعديد من الكتب الأخرى للكثير من المؤلفين والعلماء واغلب كتب هذه المكتبة مخطوطة باليد.[34]

٢- المكتبة العبدلية

أنشأت منذ العهد الحفصي، وقام بتأسيسها أبو عبدالله محمد بن الحسن، بالركن الشرقي بجامع الزيتونة وكانت تلك المكتبة بموقعها تشرف على جهة سوق العطارين[35]، أما فهرس المكتبة فيشمل المواد نفسها في المكتبة الأحمدية.[36]

و- نظام الامتحانات وطرق التقويم

إن نظام الامتحانات وطرق التقويم تخضع لمستويات ومراحل التعليم، كل حسب مدركات الطالب والتلميذ فكل تلميذ في المرحلة الابتدائية أو الطالب في المرحلة الثانوية يجري عليه الاختبار في سائر ما يزاوله من العلوم، وان الامتحانات تتم وفقاً لطريقة محددة، إذ يجري امتحان في نهاية كل ثلاثة اشهر وللجميع، ويعطى كل واحد نتيجة اختباره وما حصل عليه من درجة، وكان اختبار تلاميذ المرحلة

الابتدائية من اللجنة يكون بسرد صفحات من الكتب المخصصة في البرامج، التي زاولها التلميذ، بإملاء كتابي وتلاوة مقتطفات من الآيات المطلوب حفظها مع طرح أسئلة في عدد من المسائل البسيطة، ويكون ذلك حسب سنين التعليم، وامتحان طلبة المرحلة الثانوية والعالية يكون بإنشاء موضوع مناسب، وتعيين بحث متوسط من العلوم الأصلية من كتب الاختبار، يطالعه الطالب نصف ساعة ثم يلقيه على اللجنة وتطرح عليه الأسئلة التي تكون أجابتها من بين الأسطر، ويسأل عن المحفوظات .[37]

ثالثاً: التعليم العصري (المدرسة الصادقية انموذجاً)

أولاً: إصلاحات محمد الصادق باي وخير الدين واثرها على التعليم

يعد الباي محمد الصادق (١٨٥٩-١٨٨٢م)[38] من البايات البارزين في مجال الإصلاح[39] في تونس، إذ قام بإجراء إصلاحات في مختلف المجالات، إذ قام بتنظيم الخدمة العسكرية وإصلاح الوزارة، وفتح المدرسة العسكرية، وقام بإصلاح مؤسسة القضاء وأسس محكمة للجنايات، وشهد عصره صدور الجريدة الرسمية لتونس وهي جريدة الرائد التونسي في الثاني والعشرين من شهر تموز ١٨٦٠م، وكان لصدورها أثر مهم لحركة الإصلاح في تونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأخذت الصحيفة تروج لأفكار النخبة[40] التي اخذت على عاتقها نشر الأفكار الإصلاحية في تونس.[41]

برز من زعماء التحديث في تونس خير الدين التونسي[42] الذي قام بعدد من الإصلاحات المهمة مثل: توسعة ميناء حلق الوادي، وبناء السفن، وإصدار قوانين وانشأ مجلس الشورى، وتقييد كل ما يصدر من وثائق عن طريق الحكومة وضبطها عن طريق دفتر رسمي.[43]

يعد الدستور التونسي الذي صدر في التاسع والعشرين من كانون الثاني ١٨٦١م، وتم تطبيقه ابتداءً من الثالث والعشرين من نيسان من العام نفسه من أبرز إنجازات خير الدين التونسي الذي تضمن ١١٤ بند وتبرز أهميته كونه أول دستور يصدر في البلاد الإسلامية، ويعد ثمرة لجهود النخبة الإصلاحية في تونس.[44]

قدم خير الدين التونسي كتابه إلى الباي محمد الصادق في الحادي عشر من شهر أيلول ١٨٦٧، وكان بعنوان اقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، وكانت أهمية ذلك الكتاب بوصفه من الكتب المهمة في البلاد الإسلامية حول الإصلاح المستنبط من الطريقة الغربية، وطالب خير الدين في كتابه الدعوة إلى الإصلاح والأخذ بأسباب التقدم الغربي وتلمس طريق الإصلاح الذي تحقق فيها ومن بين أهم تلك الإصلاحات هي الإصلاحات العلمية.[45]

إصلاحات التعليم في عهد خير الدين

كانت الأوضاع التعليمية في تونس أثناء تلك المدة، تقوم على أسس تقليدية، هدفها تلقين المتعلم ما يمكنه من فهم دينه واكتساب لغة القرآن، وبعض العلوم الأخرى، وكانت هذهِ الأسس والقواعد لا تخضع لقوانين ضابطة ولا إلى برنامج مسيطر، ولم تعرف الحياة التعليمية والثقافية اهتمامً من طرف السلطة إلاَّ

في عهد أحمد باي[46] الذي اعطى أهمية للجانب التعليمي لكنه كان بسيط جداً وساعده في ذلك المصلح خير الدين حينما تولى الوزارة الكبرى، فساهم بإدخال إصلاحات عديدة في هذا الجانب.[47]

سعى خير الدين إلى إدخال إصلاحات علمية على النمط الحديث وإدخال التعليم العصري إلى البلاد التونسية، إذ أقامها على أركان أساسية، والتي كان اثرها بعيداً في التطور الفكري والنهضة العلمية والأدبية في تونس وهي:

١- إنشاء المدرسة الصادقية

انشأ خير الدين المدرسة الصادقية في عام ١٨٧٥م بمعية نخبة من علماء جامع الزيتونة، وسميت بالصادقية نسبة إلى محمد الصادق[48] وأولى خير الدين إدارتها لمحمد العربي زريق[49]، لما يتحلى به من صفات حميدة ولتكوينه العلمي المتين، وكانت هذه المدرسة أول مدرسة تونسية على الطراز الحديث تدرس فيها العلوم العربية والشرعية، فضلاً عن الثقافة العصرية، ونتيجة لذلك، قد ظهرت المعارضة لخير الدين من عدد من الشخصيات التي عملت في الخفاء لإفشال مساعيه الإصلاحية، لكنها باءت بالفشل، بسبب أن خير الدين كان قد استشار قبل الإقدام على هذا المشروع لطائفة من أهل العلم ومنهم محمد بيرم الخامس.[50]

وضع خير الدين البرنامج التعليمي للمدرسة الصادقية الذي جمع بين العلوم الدينية والعربية من جهة وبين العلوم العصرية واللغات الأجنبية من جهة أخرى، إذ اشتمل برنامجها على تلقين اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، والقراءات، والحديث، وعلوم الدين وفق المذهبين المالكي[51] والحنفي[52]، ومن علوم عربية كالنحو، والصرف، والمعاني، والأدب، والتاريخ الإسلامي والأخلاق، وعهد ذلك لمجموعة مدرسين من أعلام جامع الزيتونة وفي اللغات الأوربية اقتضى تعليم اللغات التركية، والفرنسية والإيطالية وعهد بتعليم هذه العلوم إلى أساتذة فرنسيين، فضلاً عن العلوم العصرية كالتاريخ، والجغرافية، والرياضيات، والحساب، والجبر، والهندسة، والكيمياء، وعلوم الصحة، والنبات...، وأما تعليم اللغة التركية استحضر له أساتذة من الاستبانة.[53]

أما عن شروط القبول بالمدرسة فيقبل التلاميذ من سن السابعة إلى الخامسة عشر عاماً في العام الأول، وفي الأعوام المتتالية من سن السابعة إلى سن العاشرة، وانشأ خير الدين إقامة خاصة للطلبة والتلاميذ بالمدرسة وأمر بتوفير المستلزمات كافة مجاناً، وارفد المدرسة بكتب ذات قيمة عالية، ونظمها تنظيماً عصرياً، إذ قام بجمعها من مختلف البلدان.[54]

شاعت شهرة هذه المدرسة، على نحو اقبل عليه أعيان البرجوازية[55]، واخذوا يتنافسون على إرسال أبنائهم إليها، وقد أعطت هذه المدرسة ثمارها لتحديث المجتمع في ذلك الوقت، وتخرج منها عدد من رجال المقاومة، وكان لهم دور كبير في الحركة التحديثية في تونس في المراحل اللاحقة. [56]

٢-إصلاح التعليم بجامع الزيتونة

بادر خير الدين بعد ان تولى الوزارة (١٨٧٣-١٨٧٧) بإجراء إصلاحات في جامع الزيتونة في مجال التعليم استجابة لمطالب الحياة، إذ بدأ عمله الإصلاحي بعد أن وجد الأمة في تدهور وانحطاط الأمر الذي يسهل على فرنسا الاستيلاء عليها، إذ قام بتشكيل لجنة لتفقد الدروس بالجامع وكان الجنرال حسين[57]، على رأس هذه اللجنة، إذ كتب تقريراً جاء فيه أنه لم يجد من الدروس دروساً في تفسير القرآن وكثرة دروس الفقه والنحو وأن التلاميذ والطلبة يحتاجون إلى أساتذة متخصصين في مواد مختلفة واقترح ان تضبط طرق التدريس في كتيب يوزع على التلاميذ والمدرسين وقد كانت اراء حسين متأثرة بالطرق العصرية التي شاهدها في اوربا في تلك المجال، ولم يقتصر خير الدين على مستشارته فحسب بل استشار العديد من العلماء وما يدل على ذلك , انه قام بتشكيل لجنة ثانية اؤكل اليها النظر في أحوال المدرسين والطلبة في الجامع، وقد كانت تجتمع في كل يوم اثنين برئاسة خير الدين وضمت اللجنة الشخصيات الآتية وهم : أحمد بن الخوجة[58]، الطاهر النيفر، القاضي المالكي، وعمر بن الشيخ، وعتور باش[59]، والعربي زريق، وكلفت اللجنة بالعمل على إصلاح العملية التعليمة وحددتها بربعة مراحل أهمها:"

المرحلة الأولى: وهو يضبط المواد المقرر تدريسها وهي نوعين اختيارية وإجبارية مع تعيين الكتب المقررة وإدخال كثير من العلوم والفنون موزعة على مراتب التعليم الثلاث.

المرحلة الثانية: فكانت مهام اللجنة تتعلق بالمهام المتعلقة بالمدرسين وطرق التأهيل وتطوير كفأتهم التدريسية وتضمنت توجيهات اللجنة التي تعلقت بأساليب التدريس وتطوير المهارات واتقان التدريس وتطوير العملية التربوية للطلبة وتطبيق طرق التدريس الحديثة.

المرحلة الثالثة: تتعلق بأحوال التلاميذ وواجباتهم وسلوكهم، وبناء علاقة جيدة بين الطلبة والمؤسسات التربوية بشكل عام.

المرحلة الرابعة: وشملت تلك المرحلة بإصلاح الأشخاص المسؤولين على التعليم والتلاميذ"[60]. بمعنى الاهتمام بالإدارات المسؤولة عن شؤون تلك المؤسسات التي كانت يشوبها نوع من الفساد الإداري والمالي الذي أدى إلى نشل العملية التربوية.

تخللت إصلاحات خير الدين أيضاً أحكام التنظيم الإداري بتعيين شيخ الجامع والمدرسين فضلاً عن زيادة رواتبهم وتحديد قائمة بالمواد الدراسية وضبط منهاجيتها وترتيبها على درجات تتحكم في بدايتها ونهايتها امتحانات الشهادات التي لم تكن موجودة من قبل , العمل على جعل المنهاج في كل مرحلة، مشتملة لزوماً على تدريس الرياضيات[61]، وعَزَّزَ خير الدين إجراءاته الإصلاحية والتنظيم الجوانب الإدارية بأحداث وظيفتين: مستشار للمعارف بالوزارة وتعيين نائبين لهذا المستشار بالجامع، وبهذه الطريقة تمكنت الدولة من مراقبة التعليم وقسم التعليم أيضاً على ثلاث درجات اقتداء بالدول الأوربية ويمكن أن نعبر عنه بالمرحلة الابتدائية والثانوية والعالية.[62]

رابعاً: التعليم الخاص بالأوربيين

عرفت المدارس الأوربية المتعددة التي كانت تعمل على نشر الثقافة الأوربية ولاسيما الثقافة الفرنسية، وهي في الحقيقة قد عبرت عن الاحتكاك الثقافي الذي وقع بين التونسيين والأوربيين في المدن الساحلية، وعبر عن رغبة الدول الأوربية في التمهيد للتغلغل في بلدان المغرب العربي، فضلاً عن رغبة الجاليات المتواجدة في البلاد لتعليم أبنائها، وعلى هذا الأساس نجد أربعة أنواع من المدارس الفرنسية، والإيطالية، واليهودية، والمالطية[63]، لذلك سوف يجري التركيز على المدارس الفرنسية ونشاطها وأهدافها, كونها هي الدولة التي كانت تحتل البلاد التونسية وهي التي ترعى النشاطات التي تقوم بها الدول الأوربية الأخرى في تونس .

بلغ عدد المدارس الفرنسية في تونس ٢٠ مدرسة ومن بين اهم المدارس مدرسة القس بورغاد، إذ كانت أول مدرسة في تونس العاصمة تم بنائها عام ١٨٤٠م، وتحولت عام ١٨٤٥ م إلى معهد للقديس لويس (Louis saint)، ومدرسة اخوان المذهب المسيحي وأيضاً مدرسة تم تأسيسها بحلق الوادي، وهي مدرسة أهلية لم تكن تابعة للحكومة الفرنسية رسمياً بل كانت تحظى بدعمها، وكانت تلك المدارس تدار من قبل المؤسسات الدينية الخاضعة للكنيسة الكاثوليكية.[64]

ومن بين أهم الأهداف التي سعت اليها مدارس الدول الأوربية هو الاستمرار في إنشاء تلك مدارس للتأثير على الانتماء القومي والديني لأبناء تونس فعملت تلك المؤسسات إبان حقبة السيطرة الفرنسية على تشجيع الهجرة إلى تونس بهدف التغيير الديمغرافي للسكان في تونس، فضلاً عن تشجيع الجاليات اليهودية المتواجدة في دول المغرب العربي للعمل معهم لتغيير القناعات الدينية القومية لأبناء تونس بشكل خاص وأبناء المغرب العربي بشكل عام.[65]

والمعروف أن تلك المدارس قد فتحت أبوابها في المراحل الأولى من تأسيسها إلى انضمام الطلبة التونسيين، والهدف من ذلك هو لتغيير التوجهات الفكرية والثقافية لأبناء تونس وفي المراحل الأولى كانت تلك المدارس قد حققت عدد من النجاحات، لكن وعي النخب الطلابية وقياداتها أدركت في وقت مبكر مخاطر وأهداف تلك المدارس وخطط الاحتلال الفرنسي لتونس في السعي للتغريب الثقافي للجيل الطلابي التونسي، والعمل على سلخ الجيل الجديد من الطلبة والشباب عن قوميتهم ودينهم والعمل على فتح البلاد التونسية أمام هجرة واسعة للتغيير الديمغرافي لصالح الدول الأوربية.

الخاتمة

عن طريق دراستنا لموضوع البحث استنتجنا عدد من النتائج يمكن اجمالها بالنقاط الآتية:-

١. ازدهرت الحياة العلمية في تونس قبل الاحتلال الفرنسي، وذلك بفضل المؤسسات العلمية، فقد حظي جامع الزيتونة بالمكانة المرموقة في النهوض بالحياة الثقافية في تونس وقيامه بالدور التعليمي بمختلف المراحل.

٢. تعد المؤسسات العلمية في تونس قبل الاحتلال دليلاً على اهتمامها بالتعليم سواء كان ذلك تعليماً تقليدياً او عصرياً أو أجنبياً.
٣. أسهمت المدارس الموجودة في تونس ومنها الصادقية وجامع الزيتونة في بلورة الوعي لدى الطلبة التونسيين.
٤. كان دور المدرسة الصادقية هو إدخال العلوم العصرية، وكذلك تغطية النقص في برامج التعليم بجامع الزيتونة.
٥. كان المصلحان خير الدين ومحمد الصادق باي تونس من الشخصيات المهتمة بالتعليم ومؤسساته في ذلك الوقت.

الهوامش والمصادر

١) تونس: كان قديماً تدعى ترشيش، ومركزاً فينيقياً معاصراً للعاصمة القديمة اوتيك، ولما أسست العاصمة الجديدة في قرطاجة صارت ترشيش تابعة لها، حتى الفتح الإسلامي وصارت تسمى افريقية، وحين نقل الوالي حسان بن النعمان سكان قرطاجة صارت العاصمة الثانية بعد القيروان، في عهد الدولة الأموية أسست مدينتان في كل من تونس والقيروان من قبل القائد العربي عقبة بن نافع، ونشر فيها الإسلام سراً بين البربر، وانضوت تحت حكم عدد من الفاطميين والعباسيين والاغالبة حتى الفتح العثماني عام ١٥١٦م، وبقيت سيادة الدولة العثمانية عليها إلى أن صارت دولة محمية عام ١٨٨٣م من قبل فرنسا وقد نالت استقلالها في ٢٠ آذار ١٩٥٦م. للمزيد من التفاصيل ينظر: امنة إبراهيم أبو حجر، موسوعة المدن العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٢م، ص٧٧.

٢) القيروان: من اهم مدن تونس تبعد ١٢٠ ميلاً جنوبي تونس العاصمة، تقع على خط عرض ٤٠ – ٣٥ درجة شمالاً، وخط عرض ٢–١٠ درجة شرقاً، بلغ عدد سكانها في مطلع القرن العشرين ٢٢ الف نسمة، وتتفاوت درجة حرارتها بين الصيف والشتاء. للمزيد من التفاصيل ينظر: شفيق غربال، تونس الخضراء، ترجمة: دار المعارف الإسلامية، مطبعة المعارف، مصر، د.ت، ص١٠٩.

٣) الموسوعة التونسية، الكتاتيب قبل الحماية ٢٠٢١/٣/٢٣ www.mawsouaa.th

٤) عائشة بن يوسف، المؤسسات الدينية والعلمية بتونس ودورها في مواجهة السياسات الدينية والثقافية الفرنسية (١٨٨١–١٩٥٦م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر (الوادي)، الجزائر، ٢٠١٩م، ص١١.

٥) www.wikipedia.org .23/3/2021 ()[١]

٦) الزوايا: جمع زاوية وهي في الأصل ركن من اركان البناء، وقد سميت كذلك لانزوائها عن المدن، وقد اطلقت على المساجد او المصلى الصغير في المشرق العربي بينما في المغرب الإسلامي مصطلح الزوايا، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها واجزائها ووظيفتها التعليمة، اقتصرت على تلاوة القرآن الكريم وتحفيظه وتلقي علوم الدين، وتضم غرفاً لإيواء الطلبة وضيوف الزوايا، ويلتحق بها أيضاً ضريح الولي الصالح الذي يكون في غالب الأحيان هو مؤسس الزوايا، إذ قامت الزوايا بدور مهم في التعليم الابتدائي في مختلف مناطق البلاد وادت الوظيفة المنوطة بها والمتمثلة في المثابرة على بلوغ المعرفة التامة بالنص القرآني وإعطاء التلاميذ تربية إسلامية، إذ تمكنت بالفعل من تأدية رسالة تربوية ثقافية ذات قيمة في مختلف العهود، وشاركت في نشر الثقافة ولاسيما بين أبناء ساحل الريف. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبدالعزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ٢٠٠٧م، ص١٣؛ فايزة حريزي، الزوايا ودورها في التصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ١٨٣٠–١٩٤٥م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر (بسكرة)، ٢٠١٩م، ص٩–١٠.

٧) طالب عبدالرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندر مونه من ١٩٠٠ إلى ١٩٧٧، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣م، ص٦٧.

٨) الحبيب ثامر، هذه تونس، دار العرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٠٤.

٩) طالب عبدالرحمن بن أحمد التيجاني، المصدر السابق، ص١٣–١٤.

١٠) islamsyria.com 24/3/2021. ()[١]

١١) جمعية الأوقاف: نشأت بمقتضى امر صادر عام ١٧٨٥م، وكان أول رئيس لها محمد بن مصطفى، وقسمت الأوقاف إلى قسمين: الأول الأوقاف الأهلية وهي التي حسبت على ذريت الواقف، أما الوقف الثاني فكان يحسب على أعمال البر والإحسان ومن بين مهام جمعية = = الأوقاف تمويل جهات عديدة والقيام بوظائف متعدد منها دفع رواتب المعلمين واهل المجلس الشرعي. ينظر: عائشة بن يوسف، المصدر السابق، ص١٣.

١٢) المصدر نفسه، ص١٣.

١٣) الموسوعة التونسية المفتوحة، الكتاتيب قبل وبعد الحماية . www.mawsuaa.th. 29/3/2021

١٤) الطالب: هو ذلك الشخص الذي يلتحق بالمؤسسة الثقافية لمزاولة الدراسة، سواء في الكتاتيب او المدارس او الزوايا، وعادة ما تقترن الكلمة بصفة الحركة والمسؤولية، ونحوها من الصفات الحميدة، ومن ثم قد عرف البعض معنى الطلاب بقولهم:" فالطلاب كلمة متفرعة المعاني فيها الايجاد والتملك والبطولة والقوة والإنسانية، تمكن في قلب الطالب والطالبة وتحب الانفلات من مرقدها الحقيقي لتصير فعلاً حقيقياً يتحرك في كل اتجاه ويزرع بذور العطاء وهذا الابداع الأولي صفة من صفات الطلاب". للمزيد من التفاصيل ينظر: سلمى خليل، المهاجرون الجزائريون في البلاد العربية ونشاطهم تجاه الثورة التحررية ١٩٥٤-١٩٦٢م الحركة الطلابية إنموذجاً، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر (بسكرة)، ٢٠١٣م، ص٢٧.

١٥) عائشة بن يوسف، المصدر السابق، ص١٣.

١٦) طالب عبدالرحمن بن أحمد التيجاني، المصدر السابق، ص١٥.

١٧) جامع الأزهر: هو أقدم أثر فاطمي، وأهم الجوامع في مصر والعالم الإسلامي، أسس عام ٩٧٠م بأمر من جوهر الصقلي في الجزء الجنوبي الشرقي من القاهرة بعد استيلاء الفاطميين على مصر وانجز عام ٩٧٢م، اطلق عليه اسم الجامع الأزهر تيمناً بالسيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بنت الرسول محمد (ﷺ)، تم تجديده على مدى الحقب التاريخية، والحقت به عدد من المدارس والمآذن منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله حتى الوقت الحاضر، الا انه اغلق وعطل في عصر الدولة الأيوبية بعد تولي القائد صلاح الدين الأيوبي سلطة مصر، كان للأزهر دور كبير في الحفاظ على التراث العربي واللغة العربية ولاسيما بعد سقوط الدولة العباسية، وانه تصدى للأنظمة الاستبدادية والسلطات الاستعمارية ابان الحملة الفرنسية على مصر بين عامي ١٧٩٨-١٨٠١م والاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م وأدى دور كبير في القضايا العربية ولاسيما المفاوضات بين تونس وفرنسا. عبدالودود شبلي، الأزهر إلى أين، دار الاعتصام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٩.

١٨) محمد عبدالعزيز بن عاشور، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩١م، ص١٠.

١٩) عبدالله بن الحبحاب: وهو مولى بني سلول كان رئيساً واميراً تولى خراج مصر والمغرب العربي والأندلس، صار يحكم غرب الدولة الإسلامية من العريش شرقاً إلى المحيط غرباً. للمزيد من التفاصيل ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤، ص٦٦.

٢٠) حسان بن النعمان: هو حسان بن النعمان بن عدي، ترعرع في بيت عريق من العلم والأدب، اتقن العلوم والفقه، استطاع ان يفتح المغرب العربي. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد علي قطب، ابطال الفتح الإسلامي، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٢٩-٣١.

٢١) محمد العزيز بن عاشور، المصدر السابق، ص١٠.

٢٢) محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تحقيق: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٨٣.

٢٣)سورة النور الآية ٣٥.

٢٤)الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح بجامع الزيتونة، تحقيق: محمد أنور أبو سنينة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨١م، ص٣٦.

٢٥)محمد الطاهر بن عاشور، اليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي، دار السلام، تونس، ٢٠٠٦م، ص١٣١.

٢٦)محمد الطاهر بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور، ص١٣٢.

٢٧)نقلاً عن: معراج عازب عثمان، الإصلاحات بجامع الزيتونة وردود أفعال الطلبة منا (١٨٤٢-١٩٣٨م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر (الوادي)، الجزائر، ٢٠١٩، ص٢٥.

٢٨)فاطمة مناد وأحلام غازي، جامع الزيتونة ودوره التعليمي والسياسي (١٨٧٠-١٩٣٤م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلاني، الجزائر، ٢٠١٦م، ص٢٨.

٢٩)معراج عازب عثمان، المصدر السابق، ص٢٧.

٣٠)فاطمة مناد وأحلام غازي، المصدر السابق، ص٢٨.

٣١)معراج عازب عثمان، المصدر السابق، ص٢٧.

٣٢)فاطمة مناد وأحلام غازي، المصدر السابق، ص٢٩.

٣٣)أحمد باي الأول: ولد في تونس عام ١٨٠٦م, اعتلى عرش تونس في عام ١٨٣٧م، وبدأ بإصلاحات تحديثية على الطراز الأوربي، وفي كافة المجالات وأراد إظهار بلاده من بلاد تابعة للدولة العثمانية إلى مملكة متنقلة، توفي عام ١٨٥٥م. للمزيد من التفاصيل ينظر: يونس درمونة، تونس بين الاتجاهات، دار الكتاب، مصر، د.ت، ص١٦٩.

٣٤)محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص٣٠٣-٣٠٥ .

٣٥)سوق العطارين: أحد الأسواق القديمة في تونس، تعود نشأته إلى القرن الثالث عشر، إذ كان يباع فيه مختلف العطور التقليدية وأن قربة من جامع الزيتونة اضفى حركة كبيرة عليه ومن اشهر تلك العطور الياسمين، الفل والنرجس، ومن ابرز بائعي العطور فيه محمد ضيف الله. للمزيد من التفاصيل ينظر:

a. www.alaraby.co.uk 4/4/2021

٣٦)عبدالحفيظ منصور، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة)، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص٩.

٣٧)معراج عازب عثمان، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣.

٣٨)محمد الصادق باي: ولد عام ١٨١٣م، ورث الحكم عن أخيه في عام ١٨٥٩م، ورث الحكم عن أخيه في عام ١٨٥٩م، وهو الباي الثالث عشر من سلسلة الأسرة الحسينية الحاكمة في تونس، استمر حكمه ٢٢ عاماً، لكن كان ضعيف الشخصية ويمتاز بالخمول، وفي عهده اعلن دستور ١٨٦١م، وكان يميل لعدد من المقربين ممن لا خبرة لديهم في شؤون الحكم ووقفوا حجر عثرة في طريق الإصلاح، وفي آخر أيام حكمه احتلت تونس من قبل فرنسا، توفي عام ١٨٨٢م. للمزيد من التفاصيل ينظر: حسن حسني عبدالوهاب، خلاصة تاريخ تونس: مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر، تونس، دار الكتب العربية الشرقية، ط٣، ١٩٥٣؛ ص٣٠؛ الشيباني بنبلغيث، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (١٨٥٩-

١٨٨٢م)، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، ١٩٩٥م، ص٦٥.

٣٩) الإصلاح: لغة: لفظ مشتق من فعل صلح يصلح، ويصلح إصلاحاً، والصلاح والإصلاح نقيض الافساد أي أقامه. اصطلاحاً: هو إحداث تغيير في الشكل أو الحالة أو إدخال أسلوب عمل أفضل، ويحمل معنى التغيير في شكل السلطة ووضع المجتمع وإصلاح ما فيه. للمزيد من التفاصيل ينظر: سارة جرادي، خير الدين باشا التونسي وتجربة الإصلاح في تونس (١٨٢٢-١٨٧٧م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي (ام البواقي)، ٢٠١٩م، ص٢٧؛ أحمد كافي، مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٣م، ص٢٧-٢٨.

٤٠) النخبة: وهم مجموعة الأشخاص الذين يمتلكون قدرات معينة تؤثر على عقلية واختيارات المجتمع والدولة، وهناك العديد من النخب المتداخلة مع بعضها: النخبة المالية، والنخبة الدينية والنخبة السياسية، والنخبة الثقافية. للمزيد ينظر: سليم مطر، ما هي النخبة وما هي علاقتها بالدولة والشعب

8/4/2021 www.Salim-mesopot.com .i

٤١) سارة جرادي، المصدر السابق، ص٨٨.

٤٢) خير الدين باشا: هو شركسي الأصل من الشيشان منطقة القوقاز ولد عام ١٨٢٢م بعد وفاة والده أخذوه تجار الرقيق إلى تركيا ثم إلى تونس، في عام ١٨٤٠م دخل في خدمة الباي أحمد، عمل مع الجنود المماليك في فرقة الخيالة، صار ضابطاً برتبة أمير الأمراء في عام ١٨٥٣م، تزوج من ابنة الوزير مصطفى الخزندار، كان يجيد ثلاث لغات التركية والفرنسية والإيطالية، كان ميالاً للحضارة الفرنسية عهد له بوزارة الحربية في ٨ آيار ١٨٥٧م، شارك في برنامج الإصلاح الدستوري، ألف كتاب أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، صار الوزير الأكبر منذ عام ١٨٧٤م، قام بالعديد من الإصلاحات في تونس. للمزيد من التفاصيل ينظر: سمير أبو حمدان، خير الدين التونسي أبو النهضة التونسية، دار الكتاب العالمي، بيروت، ١٩٩٢م، ص١١-١٦؛ أحمد أمين موسوعة زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب، بيروت، د.ت، ص١٤٦-١٨٣.

٤٣) سهام شابي، الفكر الإصلاحي لخير الدين التونسي (١٢٢٥-١٣٠٧هـ/١٨١٠-١٨٨٩م) من خلال كتابه اقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، ٢٠١٤م، ص٥.

٤٤) ليلى بالحاج وعبير حابي، الأزمة المالية في تونس وانعكاساتها على الوضع السياسي (١٨٥٩-١٨٨٣م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلاني بونعامة، ٢٠١٦م، ص٦٠.

٤٥) سهام شابي، المصدر السابق، ص٣٢-٣٤.

٤٦) سارة جرادي، المصدر السابق، ص٨٧.

٤٧) المصدر نفسه، ص٨٨.

٤٨) محمد عابد الجابري، السياسات التعليمية في أقطار المغرب العربي (المغرب، الجزائر، تونس)، منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٩٧م، ص٧١؛ البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٧٣٩م، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص١١١.

٤٩) محمد العربي زروق: ولد في ٢٩ تشرين الأول ١٨٢٢م، تخرج من المدرسة الحربية بباردو برتبة ملازم ثم ترقى إلى أن صار أمير لواء، كان في تاريخ تأسيس المدرسة رئيساً للمجلس البلدي في العاصمة التونسية، تولى إدارة هذه المدرسة من نشأتها إلى عام ١٨٨١م، توفي عام ١٩٠٢م. ينظر: سارة جرادي، المصدر السابق، ص٨٩.

٥٠) محمد بيرم الخامس: هو أبو عبدالله محمد بن حسين بيرم، ولد عام ١٨٤٠م وقدم مع سنان باشا العثماني لفتح البلاد الإسلامية، واختار بعد الفتح البقاء في تونس حتى وفاته في كانون الأول ١٨٨٩م في مدينة حلوان في مصر. ينظر: فاطمة مناد وأحلام غازي، المصدر السابق، ص٤١.

٥١) المذهب المالكي: هو أحد المذاهب الإسلامية الأربعة، تأسس على يد مالك بن انس في أوائل القرن الثاني الهجري، إذ اعتمد فيه الإمام مالك على أفكار فقهاء أهل المدينة في الأصول التي يبنى عليها الاجتهاد، وهي الأدلة نفسها التي اعتمد عليها من أهل السنة والجماعة؛ هي الكتاب، والسنة، والإجماع والقياس، واختلفوا عن غيرهم من أهل الرأي في مدى الاعتماد على الحديث وشروط قبوله والعمل به. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبدالرحيم علي، المذهب المالكي، مصطفى الزمرلي، وعبد الباقي البكري، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، شركة العاتك، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٥٥-١٥٧.

٥٢) المذهب الحنفي: هو أول المذاهب الفقهية التي أسست من طرف الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ثم اخذ اتباعه وتلاميذه في نشر آراءه وفتاويه ووضعوا كل القواعد والأصول، وتشتمل أصول المذاهب في الأخذ من كتاب الله، والسنة النبوية، والآثار والصحاح ثم أقول الصحابة وانتشر المذهب في مختلف الأرجاء الإسلامية مثل: العراق، وسوريا، ومصر، تونس، ولبنان، والهند، ... وبدأ انتشاره في افريقيا في زمن أبو عبدالله اسد. للمزيد ينظر: هشام يسري العربي، جغرافية المذاهب العربية، دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص١٤-١٥ , www.mawd003.com ١٠/٤/٢٠٢١

٥٣) الاستانة: هي التسمية التي اطلقت على القسطنطينية بعد فتحها من قبل السلطان العثماني محمد الفاتح ١٤١٥-١٤٨١ والتي فتحت في بداية عهده عام ١٤٥٣م، والاستانة كلمة فارسية تعني العتبة السامية، وصارت عاصمة الدولة العثمانية، واستمرت تسميتها بالاستانة إلى أن تأسست الجمهورية التركية فسميت باستنبول ينظر: www.mawdoo3.com 12/4/2021.

٥٤) سارة جرادي، المصدر السابق، ص٩٠.

٥٥) البرجوازية: وهي طبقة اجتماعية ظهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، تمتلك رؤوس الأموال والحرف، وتمتلك أيضاً القدرة على الإنتاج والسيطرة على المجتمع ومؤسسات الدولة للمحافظة على امتيازاتها ومكانتها، وكانت سبباً في قيام الدولة القومية ومساندتها. للمزيد ينظر: محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٩٨-١٨٩٨م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢م، ج١، ص١٤-١٥

٥٦) جلال يحيى، المغرب العربي الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٣٨.

٥٧) الجنرال حسين: ولد في قرية نائية في بلاد الشركس، اطلق عليه في البداية إسكندر، اختطف من قبل مجهولين إلى استانبول وباعوه إلى مبعوث باي تونس، التحق بالمدرسة الحربية بباردو وبفضل اعتداله، تقلد جميع المناصب العسكرية في عهد المشير أحمد باي، ساعد الوزير خير الدين في إصلاحاته الزيتونة، توفي في فلورنسا ودفن باستانبول بجوار ضريح السلطان أحمد عام ١٨٨٧م. ينظر: معراج عازب عثمان، المصدر السابق، ص٤٠.

٥٨) أحمد ابن الخوجة: هو أبو العباس أحمد، نشأ في طلب العلم وحصل على درجة التحصيل وكان قاضياً في المذهب الحنفي، توفي عام ١٩٢٦م، دفن بزاوية سيدي عتبة قرب داره، ينظر: أحمد ابن الضياف، إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مجلد٤، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٩م، ج٧، ص١٤٣.

٥٩) عتور باش: وهو الوزير محمد بن عزيز بن محمد بوعتور، كان له دور كبير في الإصلاحات بجامع الزيتونة، قام بتأسيس خزائن الكتب، عين كاتب بديوان الإنشاء بباردو، ثم أسندت إليه رئاسة كتبة وزارة المال، وفي عام ١٨٦٠م، تولى منصب مستشار بمجلس الشورى. ينظر: محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص٤٢١-٤٣٤م؛ فاطمة مناد واحلام غازي، المصدر السابق، ص٤١.

٦٠) عبدالقادر دوحة، الإصلاحات الثقافية والعلمية لخير الدين في منتصف القرن ١٩ وعلاقتها بالحضارة الغربية، مجلة جامعة خميس مليانة، عدد ٨، ص٨٥.

٦١) سارة جرادي، المصدر السابق، ص٨٨؛ عبدالقادر دوحة، المصدر السابق، ص٨٦.

٦٢) سارة جرادي، المصدر السابق، ص٨٨-٨٩.

٦٣) كان من بين اهم المدارس الأجنبية للدول الأوربية التي أقامتها الإرساليات التبشيرية في تونس خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ومن بين أشهر تلك المدارس المالطية التي أسستها الجالية المالطية في عام ١٨٣١م، والمدرسة الإيطالية التي أسسها المهاجر الإيطالي بومبيو سوليما في عام ١٨٣٥، والمدرسة الإنكليزية التي أسست من قبل الجالية الإنكليزية في عام ١٨٣١م، والمدرسة الإسرائيلية وهي مدرسة ابتدائية تحولت فيما بعد إلى معهد عرف باسم الرابطة الإسرائيلية، وجرى إنشاء مدرسة ومعهد القديس لويس الذي أنشئه الأب الفرنسي بورغاد عام ١٨٤١م، وأنشأ مدرسة الامومة التي أسسها الأب بورغاد عام ١٨٤٦، وأسست مدرسة منهج سيدي صابر التي أسستها الإرسالية التبشيرية الفرنسة (راهبات القديس يوسف للظهور) في عام ١٨٤٠م، ,أنشأت مدرسة باب قرطاجنة من قبل الجالية الفرنسية نفسها عام ١٨٥٢م وهي كانت مدرسة للبنات ومدرسة مدينة سوسة للذكور، وانشأ مدرسة صفاقس التي أنشأت من قبل الإرسالية التبشيرية الفرنسية أيضاً في عام ١٨٥٢م، ومدرسة حلق الوادي التي انشات من قبل الإرسالية الفرنسية وبإعانة من أعيان مدينتي تونس وحلق الوادي عام ١٨٥٤م، أنشأت مدرسة المرسى التي خصصت لتدريس البنات المسلمات فقط عام ١٨٤٣م، إنشات مدرسة شارع القصبة التي تأسست في العاصمة عام ١٨٥٥م وكذلك أنشأت مدرسة شارع الكنيسة التي اهديت من قبل محمد باي إلى الإرسالية الفرنسية عام ١٨٥٦م، وفي عام ١٨٥٥م أسس الإيطاليين وبمساعدة القنصل مدرسة للبنات ومدرسة للذكور، وأنشأت ايضاً مدرسة الملاسين التي تأسست عام ١٨٥٦م والتي انتهجت وفق المذهب البروتستانتي، وجميع هذه المدارس الأوربية التي اشرنا اليها كانت تدرس طلابها مواد حديثة وفق المناهج الأوربية الرياضيات واللغة الفرنسية والإيطالية والعربية والفلك والجغرافية والزراعة والموسيقى وغيرها من المواد. ينظر: محمد بيرم، صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار، تحقيق علي بن الطاهر، المجمع التونسي للعلوم، بيت الحكمة، ط٢، ص١٢٦.

٦٤) الكاثوليكية: كلمة مشتقة من أصل يوناني تعني عام، اطلقت على اتباع كنيسة روما في الشرق والغرب، بعد الانقسام الكبير احتفظت الكنيسة الغربية باللقب بينما فضلت الكنيسة الشرقية لقب أرثوذكس، ونسب الكاثوليك كنيستهم إلى القديس بطرس وكان مقرها الفاتيكان. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد أسامة، كاثوليك وأرثوذكس. www.idazat.com 23/4/2021

٦٥) محمد رامي عبد المولى، الفرنسية في تونس غنيمة حرب أم تركة ثقيلة، www.assafiraarabi. Com. 28/4/2021

المصادر باللغة الإنجليزية

1) Amna Ibrahim Abu Hajar, Encyclopedia of Arab Cities, Dar Osama for Publishing and Distribution, Jordan, 2002, p. 77.
2) Shafik Ghorbal, Green Tunisia, translated by: Dar al-Maarif al-Islamiyya, al-Maaref Press, Egypt, d.T., p. 109.
3) Tunisian Encyclopedia, Kitaatib Before Protection 23/3/2021 www.mawsouaa.th
4) Aisha Ben Youssef, Religious and Scientific Institutions in Tunisia and Their Role in Confronting French Religious and Cultural Policies (1881-1956 AD), Master's Thesis (unpublished), Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Martyr Hama Lakhdar (Al-Oued), Algeria, 2019, p. 11.
5) Abdulaziz Shehabi, Sufi Angles, Singleness and the French Occupation in Algeria, Dar Al Gharb for Publishing and Distribution, Oran, 2007, p. 13
6) Fayza Harizi, The angles and their role in confronting the French colonial policy in Algeria 1830-1945 AD, MA thesis (unpublished), Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Mohamed Khider (Biskra), 2019, pp. 9-10.
7) Talib Abd al-Rahman bin Ahmad al-Tijani, Qur'anic books Bandar Mona from 1900 to 1977, Diwan of University Publications, Algeria, 1983, p. 67.
8) Al-Habib Thamer, This is Tunisia, Dar Al-Arab Al-Islami, Beirut, 1988, p. 104.
9) Talib Abd al-Rahman bin Ahmad al-Tijani, the previous source, pp. 13-14. islamsyria.com 3/24/2021.
10) The Tunisian Open Encyclopedia, Al-Katatib before and after protection. www.mawsuaa.th 29/3/2021 .
11) Salma Khalil, Algerian immigrants in the Arab countries and their activism towards the liberation revolution 1954-1962 AD The student movement as a model, Master's thesis (unpublished), Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Mohamed Khider (Biskra), 2013, p. 27.
12) Talib Abdul Rahman bin Ahmed Al-Tijani, previous source, p. 15.
13) Muhammad Abdulaziz bin Ashour, Al-Zaytouna Mosque, Al-Moallem and his men, Dar Seras Publishing, Tunis, 1991, p. 10.
14) Al-Taher Al-Haddad, Islamic Education and the Reform Movement at Al-Zaytouna Mosque, achieved by: Muhammad Anwar Abu Sneina, Tunisian Publishing House, Tunis, 1981, p. 36.
15) Muhammad Al-Taher Bin Ashour, Alice Al-Sabah is close to the Arab and Islamic education, Dar Al-Salaam, Tunisia, 2006, p. 131.
16) Muhammad Al-Taher bin Ashour Muhammad Al-Taher bin Ashour, pg. 132.
17) Quoted from: Miraj Azeb Othman, Reforms at Al-Zaytouna Mosque and students' reactions from us (1842-1938 AD), Master's thesis (unpublished), Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Martyr Hama Lakhdar (Al-Wadi), Algeria, 2019, p. 25.
18) Fatima Munad and Ahlam Ghazi, Al-Zaytouna Mosque and its educational and political role (1870-1934 AD), MA thesis (unpublished), Faculty of Social Sciences and Humanities, Al-Jilani University, Algeria, 2016, p. 28.
19) Younes Dermona, Tunisia between the directions, Dar Al-Kitab, Egypt, D.T., p. 169;
20) Brown. L Carl,The Tunisie of Ahmed Bey (1837-1855) Brincetor univerrsty, 1974. P.209-210

21) www.alaraby.co.uk 4/4/2021
22) Abdel Hafeez Mansour, Catalog of Manuscripts of the Ahmadiyya Library in Tunisia (Zaytouna Mosque Treasury), Dar Al-Fath for Printing and Publishing, Beirut, 1989, p. 9.
23) Hassan Hosni Abdel Wahhab, Summary of Tunisia's History: A School Brief that includes mentioning the incidents of the Tunisian country from the earliest times to the present time, Tunisia, Dar al-Kutub al-Sharqiah al-Arabiya, 3rd edition, 1953; p. 30
24) Al-Shaibani Benbelghith, The Tunisian Army during the Era of Muhammad Al-Sadiq Bey (1859-1882 AD), Al-Tamimi Publications for Scientific Research and Information, Faculty of Arts and Humanities, University of Sfax, 1995, p. 65.
25) Sarah Jaradi, Khair El-Din Pasha Al-Tunisi and the Experience of Reform in Tunisia (1822-1877 AD), Master's Thesis (unpublished), Faculty of Social Sciences and Humanities, University of Larbi Ben M'hidi (Umm El Bouaghi), 2019, p. 27
26) Ahmed Kafi, Political Reform Projects in the Maghreb in the Nineteenth and Twentieth Centuries, Dar Al-Kalima for Publishing and Distribution, Egypt, 2013, pp. 27-28.
27) Salim Matar, what is the elite and what is its relationship to the state and the people www.Salim-mesopot.com 8/4/2021
28) Samir Abu Hamdan, Khair Al-Din Al-Tunisi, Abu Al-Nahda Al-Tunisi, Dar Al-Kitab Al-Alameya, Beirut, 1992, pp. 11-16
29) Ahmed Amin, Encyclopedia of Reform Leaders in the Modern Era, Dar Al-Kitab, Beirut, d.T., pp. 146-183.
30) Siham Shabi, The Reformist Thought of Khair al-Din al-Tunisi (1225-1307 AH / 1810-1889 AD) through his book The People of the Paths in Knowing the Conditions of Kingdoms, Master's thesis (unpublished), Faculty of Social Sciences and Humanities, El Oued University, Algeria, 2014, p. 5.
31) Leila Belhaj and Abeer Habi, The Financial Crisis in Tunisia and Its Repercussions on the Political Situation (1859-1883 AD), Master's Thesis (unpublished), Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Jilani Bounama, 2016, p. 60.
32) Muhammad Abed Al-Jabri, Educational Policies in the Maghreb Countries (Morocco, Algeria, Tunisia), Arab Thought Forum, Amman, 1997, p. 71; Albert Hourani, Arab Thought in the Renaissance 1798-1739 AD, translated by: Karim Azqoul, Dar Al-Nahar for Publishing and Distribution, Beirut, D.T., p. 111.
33) Abd al-Rahim Ali, The Maliki Doctrine, Mustafa al-Zamrli, and Abd al-Baqi al-Bakri, Introduction to the Study of Islamic Law, Al-Atek Company, Cairo, 2006, pp. 155-157.
34) Hisham Yousry Al-Arabi, Geography of Arab Schools, Dar Al-Baseer, Cairo, 2005, pp. 14-15, 10/4/2021 www.mawd003.com
35) Muhammad Fouad Shukri, The Struggle between the Bourgeoisie and Feudalism 1798-1898 AD, Hindawi Foundation for Education and Culture, Egypt, 201